إلهام الخطيب

سنوات من التجربة والعمل حتى تكتشف أن المهنة التي دخلتها من باب لم تخطط لـه، يمكن أن تصبح مساحة واسعة تجمع بين العلم والتعليم والبحث والعمل المجتمعي والانحياز للإنسان.

اليوم، وبعد تسع سنوات من العمل في الاتحاد العالمي لطب الأسنان، بدأت بعضوية لجنة الصحة العامة، ثم ترأستها لثلاث سنوات، وصولًا إلى عضوية مجلس الاتحاد، تنظر د. إلهام الخطيب إلى العمل الأكاديمي من زاوية مختلفة: الجامعة ليست مكانًا لإنتاج المعرفة فقط، والمنصب الدولي ليس لقبًا يُضاف إلى السيرة المهنية، بل فرصة لتحويل المعرفة إلى سياسات وأدوات وممارسات يستفيد منها الناس.

تتولى أ.د. إلهام الخطيب (أستاذة طب الأسنان المجتمعي والوقائي) عمادة البحث العلمي في جامعة القدس ومن خلال منصبها تشرف على العديد من المختبرات المتخصصة والمراكز البحثية متعددة التخصصات، بالإضافة إلى إصدار المجلات العلمية المحكمة. في الاتحاد، تقود مشاريع تتعلق بصحة الفم للاجئين والنازحين، والإقلاع عن منتجات التبغ، وتطوير وحدات تعليمية في صحة الفم لمقدمي الرعاية الصحية من تخصصات أخرى.

ومع كل تجربة، ترسخت لديها قناعة بأن قيمة الموقع لا تقاس بما يمنحه لصاحبه، بل بما يتيحه من عمل جماعي يبقى أثره بعد انتهاء المنصب.

وتقول في سياق حديثها لـ «الحياة الجديدة»: إن حضور الفلسطيني في المؤسسات الدولية يمكن أن يكون أكثر من مجرد حضور رمزي؛ فهو مساحة ليعرف العالم فلسطين من خلال علمائها وباحثيها وأكاديمييها.

بالنسبة إليها، حمل فلسطين إلى العالم لا يعني الحديث عنها فقط، بل أن تكون حاضرة في البحث، وفي صياغة السياسات، وفي إنتاج المعرفة، وفي الدفاع عن حق الفئات المهمشة في الرعاية. ومن هذا الإيمان جاء تأسيس القسم الفلسطيني في الجمعية الدولية لأبحاث طب الأسنان، بما يتيح للباحثين الفلسطينيين حضورًا مؤسسيًا ومساحة للمشاركة باسم فلسطين في إنتاج المعرفة وتبادلها.

لكنها لا ترى قيمة الحضور الدولي منفصلة عن الداخل. ما تتعلمه في المنصات العالمية، كما تقول، يجب أن يعود إلى المجتمع الذي انطلقت منه. لذلك تستثمر علاقاتها وخبرتها في بناء تعاون بحثي، وإتاحة فرص التدريب والإشراف المشترك للباحثين الشباب، وربط المؤسسات الفلسطينية بخبرات وشركاء دوليين.

وكان فوز الدكتورة دانيا عام 2025 بالمركز الأول عالميًا في إحدى أهم جوائز البحث العلمي في طب الأسنان، ضمن اللقاء العالمي للجمعية الدولية لأبحاث طب الأسنان (IADR)، من أولى ثمار تأسيس القسم الفلسطيني للجمعية؛ إذ أتاح هذا الحضور المؤسسي فرصًا أوسع لإبراز كفاءات الباحثين والطلاب الفلسطينيين ومواهبهم على المنصات العالمية. وإلى جانب هذا الإنجاز، أسهمت الشراكات الدولية في إتاحة فرص للتبادل الأكاديمي لطلاب فلسطينيين في الولايات المتحدة واليابان. وبالنسبة إلى الخطيب، تكتمل قيمة هذه النجاحات حين تتحول إلى قدرات محلية مستدامة، وتفتح الطريق أمام أجيال جديدة من الباحثين والطلاب ليشاركوا بمعرفتهم وخبراتهم في العالم.

من كرسي العلاج إلى الصورة الأوسع

في سنوات ممارستها الأولى، رأت د. الخطيب في العيادة أكثر من المرض. رأت ضعف الوعي الصحي، وصعوبة الوصول إلى العلاج، وكلفة الرعاية التي قد تحول دون وصول الإنسان إلى الخدمة أصلًا. وهناك بدأت الأسئلة تتغير: لماذا يصل بعض الناس إلى الرعاية بينما يُحرم منها آخرون؟ وكيف تؤثر الظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئة المحيطة في صحة الإنسان؟

شيئًا فشيئًا، أدركت الخطيب أن كرسي العلاج، رغم أهميته، لا يكفي وحده لتلبية احتياجات المجتمع. كانت تبحث عن مساحة يتسع فيها أثرها ليصل إلى من لا يستطيعون أصلًا الوصول إلى العيادة، فوجدتها في الصحة العامة والبحث والعمل المجتمعي والتعليم. وفي التعليم تحديدًا، وجدت فرصة لإعداد جيل جديد من أطباء الأسنان يحمل رؤية أوسع للمهنة، ويُسهم في تطويرها، بحيث يصبح التشخيص والتقييم الشامل والوقاية والمسؤولية المجتمعية ركائز أساسية في الممارسة اليومية. فالمعرفة التي ينقلها الأستاذ إلى طالب، والقيم التي يغرسها فيه، يمكن أن يمتد أثرها لاحقًا إلى مئات المرضى. ومن هنا، تسعى إلى دمج الأنشطة الميدانية والتعلّم القائم على خدمة المجتمع في تعليم طلابها، ليكتسبوا المعرفة والمهارات والقيم التي تمكّنهم من فهم احتياجات الناس والاستجابة لها.

ولهذا أصبحت المدارس والمخيمات والمناطق التي يصعب فيها الوصول إلى الخدمات جزءًا من تجربتها التعليمية. فهي ترى أن الطالب، حين يخرج من قاعة المحاضرة إلى المجتمع، يتعلّم ما لا يستطيع الكتاب وحده أن يعلّمه: كيف تؤثر كلفة العلاج، والمواصلات، وظروف الأسرة، والخدمات المتاحة في خيارات الإنسان الصحية وقدرته على الحصول على الرعاية. ومن خلال هذه الخبرة، يتعلّم أن يربط قراره السريري بواقع المريض، وأن يرى في خدمة المجتمع مسؤولية أصيلة من مسؤوليات مهنته.

ويمتد هذا الاهتمام باحتياجات الناس إلى رؤيتها للبحث العلمي؛ إذ تسعى الخطيب، من موقعها عميدةً للبحث العلمي وأستاذةً للصحة العامة لطب الأسنان في جامعة القدس، إلى ترسيخ نهج يعزّز إشراك المجتمع والجهات الصحية وصنّاع القرار في مختلف مراحل البحث، بدءًا من صياغة السؤال البحثي، وصولًا إلى تطبيق النتائج وتقييم أثرها. ويشمل ذلك متابعة مدى استفادة الفئات المستهدفة وتحديد ما يحتاج إلى تطوير، ليصبح البحث العلمي أكثر ارتباطًا باحتياجات المجتمع، وأكثر قدرةً على إحداث تغيير ملموس في حياة الناس.

فلسطين.. العودة التي لم تكن سهلة

كان بإمكان الخطيب أن تواصل حياتها في الولايات المتحدة، حيث خاضت تجربة أثْرت تكوينها العلمي والمهني، وفتحت أمامها آفاقًا واسعة من المعرفة والعلاقات والفرص. لكنها، حين فكّرت في المستقبل الذي تتمناه لنفسها ولأسرتها، وجدت أن فلسطين تحتلّ قلب تلك الصورة.

لم تكن العودة قرارًا سهلًا؛ فقد تطلّبت إعادة ترتيب حياة الأسرة ومسارها المهني، والبدء مجددًا في واقع تحيط به التحديات. وعندما سألت نفسها أين تريد أن تكون بعد خمس أو عشر سنوات، رأت نفسها في وطنها، تخدم مجتمعها وتصنع أثرًا فيه، ورأت أبناءها يكبرون قريبين من لغتهم ودينهم وثقافتهم. أحبّت تلك الصورة، وشعرت بأنها تعبّر بصدق عمّا تريده لحياتها. وكان إيمانها بأن الله يوجّه خطواتها ويختار لها الخير يمنحها الطمأنينة للمضيّ، حتى حين لم تكن الطريق واضحة المعالم.

كان الأثر الذي تستطيع أن تصنعه في فلسطين حاضرًا بقوة في قرارها. شعرت بأن مجتمعها يحتاج إلى خبرتها، وأن ما تعلّمته يمكن أن يفتح فرصة لطالب، أو يدعم باحثًا، أو يُسهم في تحسين الرعاية. وجدت في خدمة أهلها ووطنها رضًا عميقًا، وحرصت على أن تبقى صلاتها الدولية مصدرًا لتطوير عملها وإتاحة فرص جديدة للآخرين.

وفي الوقت نفسه، أرادت لأبنائها أن يعرفوا فلسطين معرفة حيّة، تنمو من اللغة والعائلة والمجتمع والذاكرة. كانت تؤمن بأن الثقافة تُكتسب حين تُعاش في تفاصيل الأيام؛ في المدرسة، ومعهد الموسيقى، والتدريب الرياضي، وفي رائحة الخبز صباحًا، وشوارع البلدة القديمة، والريف، والناس الذين يمنحون المكان ألفته ومعناه.

لكن الأمومة في فلسطين لم تكن يومًا تجربة عادية.

كانت ترسل أبناءها إلى المدرسة وهي تحمل قلقًا دائمًا من الحواجز والأحداث العنيفة، وتذكر اتصالات المدرسة التي كانت تخبرها بانتهاء الدوام مبكرًا، واضطرارها إلى عبور الحواجز للوصول إليهم. وكانت تخاف عليهم حين يطال الاعتقال أو القتل أصدقاءهم أو أفرادًا من عائلاتهم. وحين تستعيد هذه الذكريات، تدرك بتواضع أن ما عاشته من قلق لا يُقارن بما تعيشه أمهات كثيرات في فلسطين من فقد ونزوح وخوف يومي على حياة أبنائهن. كانت تستطيع أن تحتضن ابنيها وتطمئن إلى وجودهما بجانبها، وهي نعمة تحمد الله عليها، وتفكر بوجع في كل أم حُرمت منها أو ما زالت تنتظر عودة ابنها. وتحمل لهؤلاء الأمهات محبة واحترامًا عميقين، وتتمنى لهن الأمان والسند، وحقّهن في أن يرين أبناءهن يكبرون بسلام.

وسط هذا الواقع، حاولت أن تعلّم ابنيها حب الحياة، وأن تمنحهما جذورًا راسخة وثقة تمكّنهما من الانفتاح على العالم. أرادت أن يكونا مستعدَّين لاغتنام فرص الدراسة والعمل حيث تتاح، وأن تبقى فلسطين حاضرة في قلبيهما، وفي القيم التي يحملانها وما يقدمانه للآخرين.

واليوم، وهما في الولايات المتحدة بين الدراسة والعمل، تسمع منهما الامتنان للسنوات التي عاشاها في فلسطين، ولما منحتهما من تعليم وفن ورياضة وصداقات وتجارب. وحين يستعيدان تفاصيلها بمحبة، ترى كيف أسهمت تلك الحياة في تشكيل الشخصين اللذين تعتزّ بهما اليوم، وكيف أصبح الوطن جزءًا من نظرتهما إلى نفسيهما وإلى العالم، يرافقهما أينما ذهبا.

«الشغف والأثر».. تعريف آخر للنجاح

منذ طفولتها، جمعت الخطيب بين التفوق في الدراسة وحب الكتابة والرياضة والعمل التطوعي. كان فضولها يدفعها إلى التعلّم والتجربة والمشاركة، وهي ملامح ما زالت ترى امتدادها في شخصيتها اليوم. ومع السنوات، اتّسع معنى التفوق لديها؛ فأصبح يتجسّد في طالب يكتشف قدرته ويثق بها، وفكرة تنمو لتصبح عملًا نافعًا، وفرصة تفتح أمام إنسان أفقًا لم يكن يراه ممكنًا. بقي الطموح حاضرًا، واتّسعت دائرة من تتمنى أن يصل إليهم أثره. وتختصر ما يحركها بكلمتين: الشغف والأثر. يمنحها الشغف طاقة العمل والتعلّم، ويدفعها إلى الإتقان وتطوير معرفتها ومهاراتها. أما الأثر، فيمنح هذا الجهد اتجاهه، ويعيدها دائمًا إلى سؤالها الأهم: ما الذي تغيّر بفضل ما فعلت؟ مَن استفاد، وأيّ فرصة أصبحت أقرب، وأيّ جانب من حياة الناس صار أفضل؟ بهذا المعنى، يرتبط رضاها عن مسيرتها بما تتركه من فائدة في عملها الأكاديمي والمجتمعي والتطوعي. ويبدو شغفها المبكر بالصحافة والكتابة جزءًا متصلًا بهذه الرحلة. فقد عملت في مرحلة من حياتها محررة طبية في قناة تلفزيونية، وبقيت الكتابة حاضرة في طريقة تفكيرها وصياغتها للأسئلة.

ترى أن الباحث والصحفي يلتقيان في الفضول، وحسن الإصغاء، والانتباه إلى ما يحتاج إلى تفسير، والقدرة على طرح سؤال يستحق البحث عن إجابته. وكلاهما يتحمّل مسؤولية فهم المعلومة بدقة وإيصالها بوضوح، مع الحفاظ على أمانتها ومعناها الإنساني. ومن هنا، تنظر إلى البحث بوصفه رحلة تبدأ بحاجة تستحق الفهم أو فجوة تستدعي الإجابة، وتمتد إلى تحويل المعرفة إلى فائدة تصل إلى الناس. قد تتخذ هذه الفائدة شكل سياسة، أو إرشاد مهني، أو ممارسة أفضل، أو وعي يساعد الإنسان على اتخاذ قرار يخص صحته وحياته. فالكتابة، كما البحث والتعليم، تمنحها وسيلة لفهم الواقع والمشاركة في تحسينه؛ وتكتمل قيمة المعرفة لديها حين تجد طريقها إلى من يحتاجها، وتترك في حياته أثرًا.

امرأة وأم وأكاديمية

في حديثها لـ «الحياة الجديدة»، تتحفظ الخطيب على فكرة «التوازن الكامل»؛ فالحياة المهنية والعائلية تمر بمراحل تتبدّل فيها الأولويات، وقد حاولت دائمًا أن يبقى ابناها في مقدمتها. وتستعيد بحنان كيف كانت تتدرّب على محاضراتها أمام ابنيها سامي وسيف، فيستمعان إليها ويشجعانها ويساعدانها. كانا شريكين في رحلتها، كما حرصت على أن تكون حاضرة في تفاصيل حياتهما.

ولا تقدّم تجربتها وصفةً للكمال؛ فهي تؤمن بأن الاستمرار يحتاج إلى المرونة وتقاسم المسؤوليات والدعم والرحمة بالنفس، بقدر حاجته إلى الطموح والانضباط. وتستذكر مواقف شعرت فيها بالتمييز لكونها فلسطينية وامرأة وأكاديمية محجبة، لكنها تتذكر مواقف أكثر وجدت فيها الدعم والتشجيع والاعتزاز بها لهذه الأسباب نفسها. وتحمل امتنانًا عميقًا لمن رأوا في هويتها وتجربتها قيمةً تستحق المساندة، وآمنوا بقدرتها على الإسهام والقيادة. ومن هنا، ترى أن تمكين النساء يبدأ بفرص عادلة وتقدير منصف لعملهن، وبمساندة تحترم اختياراتهن وتتيح لهن التطور، دون أن يُطالَبن بتحمّل كل شيء وحدهن.

«لا وقت».. حين يصبح الفقد درسًا في الحياة

ربما كان الفقد أكثر ما عمّق إحساس الخطيب بقيمة الوقت. فقدان شقيقها في عمر مبكر ترك لديها وعيًا بأن الحياة قد تتغيّر فجأة، وأن ما نؤجله إلى الغد قد لا ينتظرنا. ثم فقدت والدها بعد اثنين وعشرين عامًا، وبعد أربع سنوات فقدت شقيقها الآخر. لكل غياب وجعه ومكانه في قلبها، ومع توالي الفقد، ازدادت حرصًا على أن تمنح وقتها لما يستحق، وأن تعبّر عن محبتها ما دام اللقاء ممكنًا.

ومع التجربة، اتّسع معنى النجاح لديها ليشمل ما تقدّمه للناس، والعلاقات التي ترعاها، والمحبة التي تمنحها في وقتها. وتقول الخطيب لـ «الحياة الجديدة» أن السؤال الذي يرافقها لم يعد: كم أنجزت؟ بل: كيف منحت وقتي لما أؤمن به، ولمن أحب؟ وما الأثر الطيب الذي أتركه في حياتهم؟

من فلسطين إلى العالم.. ومن العالم إلى فلسطين

تبدو رحلة إلهام الخطيب، أقل ارتباطًا بالمناصب وأكثر ارتباطًا بالمعنى. من طفلة تحب الكتابة والمشاركة، إلى طالبة دخلت طب الأسنان في ظروف لم تخطّط لها، ثم طبيبة وجدت في الصحة العامة مساحة تشبهها، وباحثة وأستاذة حملت خبرتها إلى المؤسسات الدولية، وقائدة لمشاريع صحة الفم للاجئين والنازحين، ومؤسّسة لحضور فلسطيني على إحدى أبرز منصات البحث العلمي العالمية، وأم اختارت العودة إلى وطنها؛ في كل محطة، كانت تبحث عن السؤال نفسه: ما الأثر الذي يمكن أن أتركه؟

ولهذا لا ترى حضورها الدولي نهاية للرحلة، بل وسيلة لفتح طرق جديدة أمام آخرين. ولا ترى العودة إلى فلسطين تضحية ، بل اختيارًا أعطاها معنى مختلفًا لحياتها وعملها. وفي عالم تقاس فيه النجاحات غالبًا بالألقاب والمناصب، تبدو فلسفتها أكثر بساطة وعمقًا: أن تكون المعرفة نافعة، وأن يتحول الموقع إلى فرصة لغيرها، وأن يعود ما تتعلمه من العالم إلى الناس الذين بدأت منهم الحكاية.

وربما لهذا، حين تُسأل عن الإنسانة التي تختبئ خلف الطبيبة والأكاديمية، لا تبحث عن إجابة كبيرة. تتحدث عن العائلة والأصدقاء والمشي والأماكن الجميلة، وعن لحظة هادئة خارج جدول الالتزامات، وعن قدرتها على التوقف أمام منظر جميل أو تفصيل صغير، والقول ببساطة وصدق ودهشة: ما أجمل هذا!

نادي الاسير

وقال النادي في بيان أمس السبت: «حتى الآن، لا يوجد أي تطور بشأن استئناف زيارات اللجنة الدولية للصليب الأحمر للأسرى داخل سجون الاحتلال، وأي تحديث بهذا الخصوص سيصدر عن المؤسسات المختصة والجهات المعنية، وسيتم الإعلان عنه رسمياً فور توفره».

استشهاد 4 مواطنين

واستشهد مواطن، مساء أمس في قصف استهدف مركبة مدنية في حي الشيخ رضوان شمال غرب مدينة غزة. وذكرت مصادر طبية أنه تم انتشال جثمان متفحم من المركبة. كما استشهد مواطن في قصف استهدف حي الشجاعية شرق غزة، وشاب جراء غارة نفذتها طائرة مسيرة غرب مخيم جباليا، وطفلة متأثرة بإصابتها بنيران قوات الاحتلال شمال مخيم النصيرات.

وأصيبت امرأة برصاص الاحتلال شرق مخيم المغازي، نقلت على إثرها إلى مستشفى شهداء الأقصى، حيث وصفت حالتها بالخطرة. كما أصيب طفل بنيران الاحتلال في بلوك 6 بمخيم البريج.

وارتفعت حصيلة حرب الإبادة على قطاع غزة إلى 73,910 شهداء، و174,914 مصابا، منذ السابع من تشرين الأول/ أكتوبر 2023. وقالت مصادر طبية، أمس، إن مستشفيات القطاع استقبلت خلال الساعات الثماني والأربعين قبل الماضية 4 شهداء و17 مصابا. وأضافت أن إجمالي عدد الشهداء منذ سريان وقف إطلاق النار في 11 تشرين الأول/ أكتوبر الماضي ارتفع إلى 1,390 شهيدا، والمصابين إلى 4,801، فيما بلغ إجمالي حالات الانتشال 831 حالة.

ونوهت إلى أنه تمت إضافة 85 شهيدا إلى الإحصائية التراكمية للشهداء، بعد استكمال بياناتهم واعتمادها، منذ آخر إضافة للإحصائية بتاريخ 2026/9/5.

وأشارت المصادر الطبية إلى أنه لا يزال عدد من الضحايا تحت الركام وفي الطرقات، في ظل عجز طواقم الإسعاف والإنقاذ عن الوصول إليهم.

وفي السياق، أطلقت وزارة التربية والتعليم العالي أمس العام الدراسي 2027/2026 لطلبة غزة في الداخل والخارج، في ظل ظروف استثنائية فرضها الدمار الواسع الذي طال القطاع والمنظومة التعليمية خلال حرب الإبادة.

ويوجه أكثر من 420 ألف طالب وطالبة إلى نحو 610 مدارس ومراكز تعليمية تابعة للوزارة، إلى جانب قرابة 100 مدرسة ومركز تعليمي تابع لوكالة الغوث الدولية «الأونروا» تضم نحو 100 ألف طالب وطالبة.

ويقدم التعليم الوجاهي في المدارس العاملة داخل القطاع وفق نظام ثلاث ورديات يوميا، بواقع ثلاثة أيام أسبوعيا، بما يتيح للمدرسة الواحدة تقديم التعليم لست مجموعات طلابية بالتعاقب، في إطار الاستفادة القصوى من الأبنية التعليمية المتاحة. وبالتوازي، أطلقت الوزارة التعليم الإلكتروني عبر المدارس الافتراضية لطلبة غزة الموجودين خارج القطاع، والبالغ عددهم نحو 20 ألف طالب وطالبة، إضافة إلى نحو 40 ألف طالب وطالبة داخل القطاع يتعذر عليهم الوصول إلى المدارس الوجاهية لأسباب مختلفة.

اوروبا تدعو

المشاركة في أعمال الجمعية العامة، ويطالبها بالتراجع عنه؛ باعتباره مخالفة واضحة لاتفاقية المقر. وانتقدت وزارة الخارجية والمغتربين تجاهل البيان الأميركي للإصلاحات التي قالت إن دولة فلسطين أنجزتها، بما في ذلك توحيد نظام الحماية الاجتماعية على أساس الحاجة الاجتماعية والاقتصادية، وتنفيذ برنامج الإصلاح الوطني في المجالات المالية والإدارية والتعليمية والقانونية وفق آليات واضحة وشفافة قابلة للتحقق. كما رفضت أي قيود تحول دون المشاركة الكاملة للوفد الفلسطيني في اجتماعات الأمم المتحدة، معتبرة ذلك مساسا بحقوقها وبالمنظمة الدولية، ودعت إلى ضمان وصول جميع أعضاء الوفد الرسمي الفلسطيني المعتمدين إلى اجتماعات الأمم المتحدة. وطالبت الوزارة الإدارة الأميركية بإعادة النظر في القرار ووقف سياسة العقوبات والقيود والدخول في حوار فلسطيني-أميركي مباشر وجاد لمعالجة القضايا موضع الخلاف، واستئناف العلاقات الثنائية على أساس الاحترام المتبادل وقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة وخطة السلام. وسبق أن منعت واشنطن العام الماضي الرئيس محمود عباس ومسؤولين فلسطينيين من الحصول على تأشيرات لحضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك.

تظاهرة في ام الفحم

يذكر أنه لم يتم حتى الآن تشييع جثمان الضحية محاميد، في وقت لا يزال الجثمان في مركز الطب العدلي في أبو كبير. ومن المتوقع أن تنظم له جنازة شعبية كبيرة في المدينة. وقال شقيق الضحية، خالد محاميد في حديث لموقع «عرب 48»، إن «مطالبنا هي تشكيل لجنة تحقيق في جريمة قتل شقيقي علاء، ومحاسبة قاتله الذي قتله بدم بارد». وعن موعد الجنازة، توقع أن تكون اليوم الأحد. وقال: «نحن نطالب بدفن شقيقي ومعاقبة القاتل».

وجاءت الوقفة الاحتجاجية بدعوة من اللجنة الشعبية والبلدية في أم الفحم إثر اجتماع طارئ عقد عقب جريمة الشرطة الاسرائيلية، والذي تقرر خلاله بالإضافة إلى الاحتجاج أمس، تنظيم جنازة شعبية بالتنسيق مع العائلة، وطلب عقد جلسة طارئة مع اللجنة القطرية لرؤساء السلطات المحلية ولجنة المتابعة العليا.

عبدالله رزق: الاحتلال

إصابة جنديين بانفجار عبوة ناسفة بآلية هندسية داخل ما تسميه إسرائيل «المنطقة الأمنية» في جنوب لبنان. وحسب الرواية الإسرائيلية أصيب الجنديان بجروح طفيفة، فيما اتهم جيش الاحتلال «حزب الله» بزرع العبوة معلنًا تنفيذ سلسلة غارات قال إنها استهدفت مواقع وبنى تحتية تابعة للحزب في مناطق عدة من الجنوب. لكن التصعيد لم يبدأ اليوم، إذ شهدت الأيام الماضية تطورات ميدانية متلاحقة أبرزها إحراق مستشفى ميس الجبل الحكومي.

وفي هذا الصدد، أدانت وزارة الصحة اللبنانية إحراق المستشفى معتبرة أن استهدافه من قبل إسرائيل يشكل جريمة حرب مكتملة الأركان وانتهاكا واضحا للاتفاقيات الدولية، مشددة على أن استهداف المؤسسات الطبية والكوادر الصحية يشكّل انتهاكا للاتفاقيات الدولية. ودعت الوزارة المجتمع الدولي ومنظمة الصحة العالمية واللجنة الدولية للصليب الأحمر إلى التحرك ومحاسبة إسرائيل على ما وصفته بالاعتداءات المتكررة بحق القطاع الصحي اللبناني. الأمين العام للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي الدكتور عبدالله رزق، قال لـ«الحياة الجديدة» إن الخسارة في الجنوب «أكبر من أن تحصى أو تعد» معتبرا أن حجم الدمار تجاوز ما يمكن تصوره وأن الاحتلال الإسرائيلي «نقل المكان من مكانه» حتى باتت الأرض، حسب تعبيره، «معدومة الحياة». ورأى رزق أن استمرار العدوان في استهداف ما تسميه إسرائيل «المنطقة الأمنية» يطال كل مظاهر الحياة معتبرا أن إحراق مستشفى ميس الجبل يمثل نموذجا لذلك إذ إن المستشفى كان يخدم عددا كبيرا من سكان المناطق الحدودية الممتدة من مرجعيون إلى بنت جبيل إضافة إلى القرى الخلفية المتاخمة لما تسميه إسرائيل «المنطقة الصفراء». وقال إن ما يجري لا يقتصر على استهداف البشر والحجر والشجر بل يطال أيضا المؤسسات الصحية التي يحتاج إليها سكان المنطقة معتبرا أن إحراق المستشفى يأتي في سياق سياسة تهدف إلى إبعاد الجنوبيين عن أرضهم ومنعهم من العودة إليها. وبرأيه، لم يعد كافيا الاكتفاء بالاستنكار والشجب، بل المطلوب تعاط سياسي مسؤول سواء على مستوى الدولة أو حزب الله، معتبرا أن المسؤولية لا تعني التساوي بين الأطراف وإنما تستدعي اتخاذ قرار جريء ينطلق من أوجاع الجنوبيين وآلامهم وصولا إلى الالتفاف حول مشروع الدولة.

واضاف رزق أن التجارب السابقة أثبتت صعوبة تعويض خسائر الجنوبيين أو تأمين عودتهم إلى أرضهم من دون معالجة سياسية شاملة واصفا موقفه بأنه ليس مجرد إدانة بل صرخة في وجه ما وصفه بالمكابرة وتجاهل الواقع معتبرا أن الجنوب أمام «نكبة غير قابلة للوصف» تستدعي إعادة النظر في الخيارات المعتمدة واتخاذ مواقف أكثر جدية.

وتابع الأمين العام للمجلس الثقافي للبنان الجنوبي: «كل يوم نسمع خبر جديد من المنطقة المسماة صفراء، إسرائيل دولة غاصبة ومعتدية لا يمكن إيقافها عند حد، تتوحش في سلوكها وتعتدي على كل المواثيق الدولية وترتكب الجرائم الموصوفة وهذا ليس بجديد. فلنا في غزة والضفة الغربية خير أمثلة واليوم في الجنوب كذلك، فلنلتف حول مشروع الدولة الوحيدة القادر على حشد كل طاقات لبنان بما فيها قوة حزب الله لفرض معادلة مع العدو الإسرائيلي لإجباره على الانسحاب».

ولا تقف تداعيات التصعيد عند حدود الدمار، إذ يشير رزق في ختام تصريحه إلى وجود نحو أربعمائة ألف نازح من القرى الواقعة ضمن ما تسميه إسرائيل «المنطقة الصفراء» موزعين على مناطق مختلفة من لبنان ويواجهون ظروفا صعبة في ظل ما وصفه بغياب المساعدات داعيا جميع الأطراف إلى تحمل مسؤولياتها واتخاذ القرارات التي تخدم الجنوب وسكانه.

هذا واعتبر رئيس بعثة قوّة الأمم المتحدة الموقّة في لبنان «اليونيفيل» وقائدها العام الميجر جنرال ديوداتو أبانيارا ان عمليات الهدم الإسرائيلية المتواصلة في جنوب لبنان تشكل انتهاكا إضافيا لقرارات مجلس الأمن. وقال انه من الضروري ضمان قدرة وكالات الأمم المتحدة الأخرى والجيش اللبناني على تولي المهام التي تنفذها القوّة قبل بدء انسحابها المقرّر في نهاية العام الحالي.

أبانيارا وفي حديث لوكالة «رويترز» من أحد مواقع «اليونيفيل» في جنوب لبنان اعتبر أن وجود مؤسسات أخرى تابعة للأمم المتحدة في الجنوب يجعل من الضروري العمل على «انتقال سلس جدا» للمهام سواء إلى هذه الجهات أو تمهيدا لأي بعثة جديدة مستقبلا ، مشيرا إلى أن تسليم بعض مواقع «اليونيفيل» إلى الجيش اللبناني قد يكون صعبا للغاية نظرا إلى أن أكثر من نصف مواقع القوّة تقع حاليا ضمن مناطق تسيطر عليها القوات الإسرائيليّة.

إلى ذلك، تتزايد المؤشرات على أن التصعيد قد يكون مرتبطا بترتيبات ميدانية طويلة الأمد، إذ نقل المراسل العسكري للقناة 13 الإسرائيلية أن جيش الاحتلال يقيم جسورا فوق نهر الليطاني ويشق طرقا عسكرية في إطار ما وصفه بالاستعداد للبقاء طويلا في لبنان. كما نُقل عن السفير الأميركي لدى إسرائيل مايك هاكابي قوله إن «الجيش الإسرائيلي سيبقى في جنوب لبنان حتى يصبح جيشه قويا» حسب تعبيره. وفي ظل هذا المشهد الأمني، تتفاقم الكلفة الإنسانية للحرب ولبنان يعيش أصلا أزمة اقتصادية صعبة لكن تداعيات الحرب تضيف أعباء جديدة على المواطنين من ارتفاع أسعار المواد الأساسية إلى كلفة الكهرباء وفواتير المولدات وصولا إلى الارتفاع الكبير في أقساط التعليم وإيجارات الشقق.

محكمة اميركية

المرجح أن تحال إلى المحكمة العليا الأميركية، أيدت هيئة مؤلفة من ثلاثة قضاة تابعة لمحكمة الاستئناف للدائرة الأولى الأميركية، ومقرها بوسطن، إلى حد بعيد حكما أصدره قاض في محكمة أدنى درجة في فبراير/ شباط بعدم قانونية سياسة وزارة الأمن الداخلي الأميركية. وصدر الحكم في دعوى جماعية رفعها مهاجرون صدرت بحقهم أوامر ترحيل، وأصبحت القضية اختبارا جوهريا لضمانات «الإجراءات القانونية الواجبة» التي يتعين على الحكومة توفيرها قبل ترحيل أشخاص إلى دول لا تربطهم بها أي صلة.

وقالت ترينا ريلموتو محامية المدعين في التحالف الوطني للتقاضي بشأن الهجرة: «يؤكد هذا القرار أنه لا يمكن التحايل على الإجراءات القانونية الواجبة وسبل الحماية التي أقرها الكونغرس ضد الاضطهاد والتعذيب بوضع شخص على متن طائرة إلى بلد لم يكن أبدا جزءا من إجراءات ترحيله».

غرينلاند والدنمارك

الإقليم الدنماركي الذي يتمتع بحكم ذاتي، وما إذا كانت ستنقل إلى واشنطن أي صلاحيات رسمية تتعلق بالسياسة الخارجية أو الموارد.

وعبرت الدنمارك وغرينلاند عن أملهما في أن يضع الاتفاق، المتوقع توقيعه خلال اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة الأسبوع المقبل، حدا لأشهر من الغموض الذي أثارته تهديدات ترامب بالسيطرة على غرينلاند.

وقال وزير الخارجية الدنماركي لارس لوكه راسموسن في بيان نشره على فيسبوك أمس السبت «قد يكون الأسبوع المقبل أسبوعا جيدا لغرينلاند والدنمارك والولايات المتحدة». وأوضح «نأمل أن تفسح فترة الضبابية المجال لاتفاق ملزم يعزز الأمن في القطب الشمالي وشمال الأطلسي، وبالتالي أمننا المشترك داخل حلف شمال الأطلسي وأوروبا، مع احترام الخطوط الحمراء لمملكة الدنمارك».

وشددت الدنمارك وغرينلاند مرارا على ضرورة أن تحترم واشنطن سيادة مملكة الدنمارك وأن تقبل بأن غرينلاند ليست للبيع.

وقال ترامب على منصة تروث سوشال في وقت متأخر الجمعة إنه بموجب الاتفاق «ستتمتع الولايات المتحدة إلى الأبد بالقدرة الكاملة على القيام بكل ما هو ضروري في غرينلاند من أجل ضمان أمن غرينلاند والولايات المتحدة الأميركية والدفاع عنه». وأضاف أن الاتفاق «يمنح الولايات المتحدة سيطرة دائمة على الأمن، وعلى جميع الاحتياجات الأخرى في غرينلاند»، موضحا أنه لن يسمح لأي طرف معاد بإقامة قاعدة أو وجود عسكري في غرينلاند أو تنفيذ استثمارات حساسة فيها من دون موافقة كتابية صريحة من واشنطن. وجاء إعلان ترامب بعد أن انفردت رويترز بنشر تقرير أفاد بأن الولايات المتحدة والدنمارك تقتربان من التوصل إلى اتفاق.

وقال ميكل فيدبي راسموسن أستاذ العلوم السياسية بجامعة كوبنهاجن، «هذا على الأرجح ليس نهاية طموحات الرئيس ترامب بشأن غرينلاند، وبالتأكيد ليس نهاية الاهتمام الاستراتيجي الأميركي بالإقليم وموارده».

وأوضح أنه إذا تنازلت كوبنهاجن عن أي صلاحيات رسمية لواشنطن، فإن ذلك يثير في غرينلاند تساؤلا عما إذا كان «هذا هو بداية استبدال العلاقة الاستيطانية مع الدنمارك بعلاقة استيطانية مع الولايات المتحدة».

وقال رئيس وزراء غرينلاند ينس فريدريك نيلسن أمس إنه سعيد بالاتفاق المقترح، مضيفا في منشور على فيسبوك «يعترف الاتفاق بسيادة مملكتنا ووحدة أراضيها وبحق شعب غرينلاند في تقرير المصير».

اعتداءات واسعة

وفي محافظة الخليل، قطع المستوطنون خط المياه الرئيس المغذي لقرية ادقيقة في بادية يطا، ما حرم نحو 700 مواطن من المياه، وأحرقوا غرفة زراعية وخطوا شعارات تحريضية شرق يطا، كما اعتدوا على عائلة المواطن فضل الهدار في خلة الحمص، وأجبروها على نقل خيمتها المقامة فوق أنقاض منزلها المهدوم بحثاً عن مكان أكثر أمناً. وفي محافظة نابلس، تجول مستوطنون بين منازل المواطنين في اللبن الشرقية، وخربوا دفيئات زراعية وسرقوا أقواسا حديدية ومعدات من أراضي قرية الناقورة، وواصلوا مضايقة المواطنين في بيت إمرين.

أما في محافظة بيت لحم، فطارد المستوطنون رعاة الأغنام في برية زعترة، وأطلقوا مواشيهم في أراضي المواطنين وتجمعوا قرب منازلهم في منطقة واد أبو نجيم.

وأكدت الهيئة أن هذه الحصيلة تكشف أن اعتداءات المستوطنين تندرج في إطار تكامل الأدوات الاحتلالية التي تستهدف أمن المواطنين وممتلكاتهم ومصادر مياههم وسبل عيشهم، وتهدف في جوهرها إلى تضييق وجودهم ودفعهم إلى مغادرة أراضيهم.

كما أكدت الهيئة أن هذه الاعتداءات لن تمنح مرتكبيها حقا في الأرض، ولن تنجح في اقتلاع الفلسطيني منها، مبينة أن المطلوب من المجتمع الدولي الانتقال من الإدانة إلى توفير الحماية والمساءلة الفعلية، مؤكدة أن صمود المواطنين وثباتهم في أراضيهم يبقى خط الدفاع الأول عنها.

واعتدى مستوطنون بالضرب على المزارع محمد الطويل أثناء عمله داخل أرضه في قرية دير إبزيع، غرب رام الله، وقطعوا 30 شجرة جوافة تعود للمواطن خالد محمد عمارنة خربة فراسين قرب يعبد غرب جنين.

واعتقلت قوات الاحتلال ثمانية مواطنين من قرية ادقيقة بادية يطا جنوب الخليل.